

التحليل اللساني البنوي للخطاب الشفوي

د. عبد الجليل مرتاض

جامعة تلمسان

الجزائر

ليس من السهل - إن لم أقل
من المستحيل - يوفق الدارس في إضفاء
تعريف محدد على القراءة يلقي قبولاً مطلقاً
لدى النقدة اللسانيين المعاصرين ولكنه بوقوفه
على مجمل هذه القضايا عند هذا القارئ أو
ذاك مقارناً إياها، ولو على المستوى التصويري
قد يستطيع أن يبلور فكرته في الاتجاه الذي
يخدم النص المعرض للقراءة إذا ما توفرت له
الأدوات الأولية ذات العناية و الاطلاع على
مضامين أهم النظريات التي تلفت الانتباه أكثر
في هذا الميدان. شريطة ألا يغرق ذاتيته في
الإعجاب بهذه النظرية أو تلك مقابل نفور
أخرى من بعيد، لأن أصالة البحث تبقى المنفذ الوحيد للدراس حين يجد نفسه
محاطاً بعراكات فكرية رهيبة خاصة حين تكون هذه العراكات محركاً بأدوات
إيديولوجية أو مؤثرات عامة خارجية .

لو استطعنا أن نعرف ماهية القراءة لاتضح ما يقرأ مرة واحدة لا
مرات عديدة وبدون نهاية ، ثم إن القراءة كجنس لساني أدبي أو نقدي
أو أي شئ آخر ليست فقط متقاطعة مع ما يقرأ بل هي مترابطة بنوع
الجنس الذي يقرأ أم ليست بين الخطابات الشفوية مختلفة - مثلاً - عن بني

الخطابات الكتابية ؟ من الضلالة المنهجية بمكان أن نقرأ نصوص ما قبل الكتابة ، بنفس القاعدة التي نقرأ بها نصوص ما بعد الكتابة ، بل لا يمكن أن نقرأ نصوصا عامة أو شعبية بنفس الوتيرة التي نقرأ بها نصوصا فصيحة أو عامة ، لأنه شتان ما بين القراءتين و السبب يعرفه جدا المتعاملون مع طبيعة النصوص ، أو بعبارة أدق ، المدركون للوضعية التواصلية التي تفصل محمود واضحة الخطاب الشفوي عن الخطاب الكتابي .

الكل يعلم أن اللغة الشفوية متعارضة في تزاميتها وفي رموز اتصالها أو نظمها البيوي بالنسبة للغة المكتوبة ، وقراءتنا لا تكون إلا وفق هذين العنصرين المتباينين ، وذلك انطلاقا من الماهية الصوتية أو اللفظية و الماهية الخطية ، وهذا حتى على مستوى لغة واحدة.

والكل يعرف أن وحدة المعنى في الخطاب الشفوي تقوم على التركيب أو اللسان-تغم (تنسيق الوحدات الدالة المتلاصقة) ، بينما الوحدة الخطية في الخطاب الكتابي تقوم على الكلمة (1).

والكل مقتنع بأن المدونة المعروضة سلفا أمامنا ، كيفما كان شكلها تطلق من عالم لغوي شفوي أو قراءة شفوية داخلية تتصل بثقافة القارئ الخارجية ، لأن الاكتساب الثقافي الذي بحوزته هو في الآن ذاته بحوزة أفراد آخرين غيره ، أي هو سلوك ثقافي خارجي لا يملك سلطانه عليه باعتباره هو كذلك جزءا منه.

وقد لا يرجع الأمر إلى هذا الإرغام الخارجي وحده بقدر ما يعود كذلك إلى أن عملية القراءة سواء أكانت لسانية أم غير لسانية خطية

متعددة وفردية في الوقت نفسه ، ومن غير الممكن للقارئ أو المتلقي أن يقوم في الآن ذاته بما هو فردي يدخل في نطاقه، وبما هو جمعي يخرج عن إرادته. أما السيرورة الطبيعية لعملية القراءة في هذه الحالة فإنها محرّكة من الخارج برد فعل ما لكن لساني أو غير لساني من الداخل، وهذه السيرورة الطبيعية على هذا النحو ليست عامة ولا خاصة ليست عامة لأن ما يلفت نظري قد لا يلفت نظرك ولا حتى وجهة نظرك ، وليست خاصة ، لأن ما يلفت نظري ليس حكرا لي دون غيري ، أي ليس خاصا بالأنا دون الغير. الطبيعة البنيوية للخطابين: الشفوي والكتابي.

إن ما نحن مقبلون عليه من تحاليل بنيوية لنصوص تعود في معظمها إلى العصر العربي السليقي وفق مناهج سانتكسية توزيعية ، وأحيانا وظيفية أو حتى دلالية (وهذا نادر) ، ليقودنا إلى الحديث مبدئيا عن الطبيعة التركيبية لكل من هذين الخطابين وسنركز على الخطاب الشفوي ، بينما سنعرج تعريفا على الطبيعة البنيوية للخطاب الكتابي ، لأن هذا الخطاب يحتاج إلى جهد كبير مستقل ، على الرغم من أنه أكثر شيوعا من الخطاب الشفوي ، غير أنه سيظل شكلا فرعيا لاغير من الخطاب الشفوي .

أ- الخطاب الشفوي :

1- يفترض في التكلم و المتلقي (المستمع) أن يكونا حاضرين ، بحيث يجري سرد الخطاب المراد تبليغه في الوقت نفسه .

المتكلم ← → المستمع

(ش1)

2- الخطاب يكون عفويا، و غير قابل للمراجعة أو التنقيح ، ولا يكون هذا التصحيح ممكنا إلا بتقديم مرسله (ميساج) تحت شكل آخر، وهنا يجب أن نذكر بعض العادات الخطابية التي لا تزال آثارها مرسومة رسما متوارثا في الذاكرة الجماعية التي أصبحت مسجلة في الخطاب الكتابي ، و على سبيل المثال لا الحصر ، بعض التراكيب الإنسانية التي تبنتها اللغة الإنسانية المكتوبة بشكل عام وعللتها واصفة إياها بأوصاف شتى ، مثل الخطابات الشفوية العفوية التي أوجدت بعض الوحدات النحوية لإلغاء بعض الأشكال (بل: للإضراب) أو توظيف بعض الوحدات أخرى قصد تغيير وجهة نظر المتكلم نفسه إزاء حكم بعينه كالاستدراك مثلا ، (لكن الدالة على الاستدراك بأن تنسب لما بعدها حكما مخالفا لما قبلها) وهناك تراكيب ساتكسية و مورفولوجية وصوتية ... لا تزال مسجلة في الخطاب الذي سجل كتابيا ، حتى في لغة القرآن الكريم نفسها ، كقوله تعالى : ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾⁽²⁾ ، وكالحديث الشريف : «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةُ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةُ بِالنَّهَارِ» . وكقول بعض العرب : (أَكْلُونِي الْبَرَاغِيثُ) ، وهذا التعبير هو أصل التركيبين السابقين... وفي أمثالهم :

- (عسى الغوير أبؤسا)

- (ليت القسي كلها أرجلا)

و بالعكس للتركيب السابق تماما ، قولهم

- (لعلّ أبي المغوار منك قريب) ،... إلخ.

إن أصل هذه التراكيب الجبلية و العفوية و العادة اللسانية ، ولا مجال للمعيارية الصارمة هنا ، لأن الخطاب الشفوي الأصلي لم يكن بإمكانه أن يصحح وفق معيارية مألوفة إلا بتبديل شكل بكامله بشكل آخر ، أو إيجاد أدوات خفيفة ومختصرة يوظفها لاحقا للإلغاء أو تغيير وجهات النظر.

3-السانتكس البسيط مثل الجمل الغير التامة ، كقول أحدهم لصاحبه وقد كان لا يكلم الواحد منهما الآخر :

- ألا تـ؟(أي:ألا تقوم أو تنهض ؟)

فيحييه :

بلى ف.....(أي : أجل ، فأقوم أو فأنهض)

وإلى جانب الاختصار نصادف تكرار القول الدال على التردد من جهة و التأكيد من جهة ثانية ، أو الدال على الارتجال وهروب الكلام منحي شتى ، وغياب التنسيق كالفصل بين المضاف و المضاف إليه أحيانا ، أو بين النعت و المنعوت ، أو كإهمال الخبر اكتفاء بالمسند إليه ، فضلا عن افتقار الجمل إلى النعوت ، لأن المتكلم شفويا ليس له وقت مؤجل غير الوقت الذي هو فيه ليفكر في صفات معينة بدل ما يحضره عفويا منها أو ما اعتاد الناس أن يصفوا به بعضهم بعضا ، أو قل : إن النعت عندهم جزء من عادات كلامهم ، سواء كان نعنا لمنعوت معرفة أم نكرة.

4- القاموس الأساسي قائم في هذا الخطاب على الكلمات ذات الوظيفة الانتباهية غرضها إقامة الاتصال بين المتكلم شفويا و المستمع لخطابه، معتمدا على ما يحضره من مفردات كثيرة الاستعمال ، أو على الأقل لا يتكلفها مثلما نتكلم نحن بالعامية.

5- مرجعية الخطاب الشفوي المحال عليها يفترض فيها أن تكون ملموسة ولا تتقيد باستعمال الإنشاءات الرفيعة والمعقدة .

6- الإشارات الإيمائية التي يستعين بها المتكلم كالتعبير بإشارات الوجه والحركات العضلية والحواس الأخرى تقلص من تمديد الخطاب وتعميق معانيه.

ب- الخطاب الكتابي :

1- إن الكاتب لا يكتب ضرورة بحضور القارئ ، بل ما جدوى الكتابة إذا كان القارئ حاضرا ؟ ولذا فإن التبليغ يعد دائما مؤجلا:

الكاتب القارئ

(ش2)

2- بالنظر إلى ما للكتاب من وقت للتفكير، يمكن له أن يألف خطابه بأحد الصور التي يراها أكثر ملائمة .

3- إن الساتكس الموضوعية (النعته هنا على المعنى لا على اللفظ) تختلف على الساتكس التي أشرنا إليها في الخطاب الشفوي ، فالكاتب يلجأ إلى استعمال الجمل المعقدة ، مثل النعوتات الكثيرة والعطف أو البدل أو عطف الياء ، وكذا تنظيم الظروف....

4- اختيار القاموس المستعمل كالمفردات الممكنة لا العادية فقط والترادفات والكلمات غير المعتادة بين العامة ...

5- تقخيم الخطاب و الزيادة فيه ، وخاصة فيما يتعلق بالكتابة الروائية أو الأجناس الأدبية الإبداعية عموما ، كقول لبيد :

غَلَبَ الْعَزَاءُ وَكَانَ غَيْرَ مُغَلَّبٍ دَهْرٌ طَوِيلٌ دَائِمٌ مَمْدُودٌ

أو كقول الآخر :

وَقُولًا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا كَرَامَةً

أَضَاعَ وَلَا خَانَ الْأَمِينَ وَلَا غَدَرَ

فعلا، إن لبيدا لم يكتب هذا الشعر، لكن التزامه بالعروض وموسيقى الشعر أرغمه على الالتزام بضرب معين ، لكن غير مقيد ، من الخطاب .

6- ترقنة (TRANSCODAGE) المرسلة الانفعالية أو العاطفية المنقولة

بواسطة التنعيم التعبيري و الحوار والحركات :

- سافر محمد (إثبات)

- سافر محمد (تعجب)

- سافر محمد ؟

- سافر محمد (بالاستطالة الصوتية على المقطع (سا) في الفعل سافر ليدل بعد ذلك على الأسف و الحسرة أو شيء من هذا

لكن الجملة الرابعة من الصعب قراءتها قراءة صحيحة بالأداء

الصوتي المطلوب لبلوغ الدلالة المرادة .

إن كل قراءة ينبغي أن تخضع إلى مراعاة هذين البعدين أمام مواجهة

النصوص التي نقدم على قراءتها، لأن التراث الإنساني غني بمثل هذه

النصوص الشفوية ، وما النصوص الكتابية إلا مدونات صناعية لفكرة

النصوص الشفوية بدءا من الوحدة الصوتية الدنيا إلى الكلمة فالجملة فالنص.

الخطاب الشفوي، خطاب طفولتنا :

ومما يحضرنى في هذا المضمار أن النص الشفوي الذي يعد أصلا
جوهريا لكل نص كتابي ، ينتمي إلى لغة الصغار أكثر مما ينتسب إلى لغة
الكبار بمعنى أن البساطة العامة التي تطبع النص الشفوي ترجع قبل أي شيء
إلى لغة طفولتنا ومنذ عام 1941 صاغ جاكبسون فرضية تذهب إلى أن
الطفل يتعلم مختلف السمات المميزة للنظام الفونولوجي وفق ترتيب واضح
تتفاوت طويلا مقابل تعارضاتها بالصوامت ،.... وهذا الترتيب الهرمي
موجود تقريبا وثابت في كل لغات العالم (UNIVERSEL) ، غير أن
هذه الفرضية غير مؤكدة حتى الآن إلا جزئيا ⁽⁵⁾.

إن التقنيات و التعقيدات التي تطبع النص الرسمي أو الكتابي من أداء
الكبر لا الصغير ، وهذا لا يعني في مفهومنا المطلق بأن هناك نصين متا بينين
كل التباين ، لأننا نجهل النصوص الشفوية الأولى في اللغات الإنسانية وما
يحيي لنا منها مدونا ومرسوما لا يقوم دليلا على هذا التباين ، فمن جهة أن
الكبر هو الذي سجلها حسب هواه المقبول رسميا ، ومن جهة أخرى أن
الكبر هو الذي سجلها بلغة الكبار لا بلغة الصغار ، وعلاوة على هذا وذاك
إن الصغير هو الذي يرث تراث الكبر ، وليس العكس ، فمن هنا جميعا
يتحيز تحديد الطابع الجوهري الذي ينم النصوص الشفوية إلا بطريقة
التي تطبقه آنية.

النص الثابت المتحرك:

مثلا تتباين الطبيعة البنيوية للخطابين الشفوي و الكتابي ، حتى أنه
لا يمكن إدراك مفهوم أحدهما إلا بتصور هذا التعارض التاريخي -الآني

بينهما ، فكذلك يتباين النص من حيث كونه ثابتا أو متحركا ، وهاتان السمتان مرتبطتان إلى حد ما بالخطابين السابقين .

إن النصوص الشعبية في أصلها ثابتة ثم تنحو نحو التحرك بفعل عامل الرواية و التنقل بين الشعوب ، ولما سجلت في وقت من الأوقات بنية الحفاظ عليها لما تضمنه من عناصر ثقافية خالدة وعادات وتقاليد ورموز تاريخية وشعبية أخذت تنحو شيئا فشيئا نحو الثبات ، غير أن تعدد رواياتها سيظل يشفع لها هذا التحرك.

بل ليس اختلاف الرواة وحده دليلا على تغيرها الدائب ، لأن اللغة الشفوية في حد ذاتها مجال متحرك أو فضاء حر من المراقبة خلافا للغة المكتوبة بمراقبة معيارية غالبا ما تكون صارمة.

إنّ الأمثال الشعبية التي نحفظ أو التي اطلعنا عليها ، سواء أكانت عامية أم فصيحة ، فإنها لا تكاد تخلو من بنيات لغوية إحدائية ، غير أن هذه البنية الحديثة لا تعمل على تغيير أي بنية من بناياتها السانتكسية أو المورفولوجية أو الفونولوجية ، ... لأن تركيبها قصير لا يضطر السمع إلى الخطأ ولا يعرض الذاكرة الجماعية أو الشعبية كلها إلى النسيان خلافا للقصة و الرواية و الملحمة ، ... حتى قال أبو هلال العسكري في بناء بعض هذه الأمثال: ((هو من الكلام الذي قد عرف معناه سماعا من غير أن يدل عليه لَفْظُهُ))⁽⁶⁾ ، وأجدر بهذا القول أن يكون منطقيا ، لأن تركيبا مثل ((الصَيِّفَ ضَيَّعَ اللَّبَنَ)) بكسر التاء إذا خاطبت العدد والجنس بجميع أنواعهما ، يدل على شذوذ في البنية السانتكسية المستقيمة نحويا ومورفولوجيا ، وكذلك في

منهم ((أَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيهَا)) بتسكين الياء في باريها بدل فتحها ، لأن
الشيء هكذا سمع ، وهكذا يجب أن يروى ويظل حتى كأن البنية الدلالية تصير
لا علاقة لها باستقامة البنية القواعدية ، حتى وإن كنا ندرك دائما بأن البنية
في مثل هذه التراكيب وحتى في التعابير العامة هي بنية مقدرة في التركيب
العام السليم ، أي هناك نيتان : بنية سطحية قد يكون ظاهرها غير مستقيم
وبنية عميقة مقدرة تقديرا سليما وفق القواعد المعهودة لدى الجماعات
التكلمية ذات السلطة على اللغة.

وقد يكون هذا شأن البنية الصوتية كذلك مثلما جاء في بعض
أشعارهم ((لَمْ يُحَرِّمْ مَنْ فُزِدَ لَهُ)) ، أي : مَنْ فُضِدَ لَهُ ، وحتى حركة العين
(الكسرة) التي كانت موجودة ، أو كان ينبغي أن توجد على الصاد التي
تحولت إلى زاي آلت إلى سكون على الزاي.

والمثل أو التركيب الشفوي السابق لا يدرك مثلما ينطق وفي سلسلة
حسية كلامية معهودة ، ولا ينطق مثلما يدرك تبعا لأصوات أو حتى
وحدات دالة بشكل ظاهر، وإنما يتوصل إلى هذا جميعا بواسطة البنية العميقة
الشفوية. ولا متى كانت البنية الدلالية الخاطئة دليلا على صواب بنية دلالية ،
حتى كأن الأصوات والخط ما هي إلا ((خصائص عرضية ينبغي ألا تدخل
في التحديد العام للسان))⁽⁷⁾ كما ذهب إلى هذا هلمسليف في بعض
تحليله.

لكن اللغة الشفوية ينبغي ألا تخضع إجباريا للنظريات اللسانية العامة
ومن وحدات لسانية شفوية لا حصر لها، يتبين أن الوحدة اللسانية المتحدث
عنها والمستفاض فيها في كل أو أغلب المناهج والنظريات اللسانية من خلال

كا ، وهاتان

ك بفعل عامل

الأوقات بنية

تقاليد ورموز

غير أن تعدد

، لأن اللغة

خلافًا للغة

سواء أكانت

غير أن هذه

تتكرس أو

السمع إلى

لألفا للقصة

بعض هذه

يدل عليه

((الصَّيْفُ

هما، يدل

كذلك في

لغة رسمية محددة غاية التحديد ، ليست دليلا كما ذهب إلى ذلك سوسور ،
ولا وحدات أصغر تكتشف طريق الاستبدال مثلما ذهب إلى ذلك
هلمسليف :

نال ◀ نام

غاب ◀ تاب

وهو ما أسماه بمستوى التعبير ، ولا حتى بما أسماه بمستوى المضمون :

فتاة ◀ بشر + أنثى

أليس : طلحة ◀ بشر + ذكر؟

ثم أليست :

السماء ◀ شئ + ذكر + أنثى

زوج ◀ بشر + أنثى

زوجة ◀ بشر + أنثى

الصراط ◀ شئ + ذكر + أنثى

فرس ◀ حيوان + ذكر + أنثى ... إلخ

نحن لا ننكر أن الوحدة (الواو مثلا في العربية) تتحدد بعلاقتها
وبعلاقاتها فقط ، مع الوحدات الأخرى في المنظومة اللسانية كما هو الحال
في الجملتين العربيتين القديمتين :

1) لا رحمك الله ◀ دعاء على المخاطب

2) لا رحمك الله ◀ دعاء له

ولكن لا يمكن الافتراض بأن هناك ((منظومة لسانية كاملة متكاملة تشمل
هذه العناصر من أصوات ومعان))⁽⁸⁾ ، إلا إذا كنا نتحدث عن منظوم

وعليه فإن التحليل اللساني لا يكون عادة إلا بعد مراحل سابقة ومفروضة ، والتحليل الأجدى في نظرنا ، هو ذلك البعد الدلالي والصوتي والسانتوكسي الذي يخترق الدال والمدلول كليهما باحثا عن الأدوات الفعالة وغير التعسفية لتفكيك التراكيب إلى وحداتها المستبدلة وإعادة بنائها في الآن ذاته ، وهذه العملية تنحصر ما بين وقائع لسانية خارجية أو تبدأ بها وما بين وقائع لسانية داخلية ، أو تنتهي إليها:

تصور عام أو خاص (وقائع لسانية خارجية)



تحليل لقراءة (وقائع لسانية داخلية)

أما إذا كان الأمر يتعلق بعالم الإبداع، فإننا نعكس توجه الأسس من الأعلى إلى الأدنى ، ونبدل لفظ (القراءة) بلفظ (الكتابة) .

ولعله ليس من التكرار أن نؤكد بأن تركيبا قبل أن يتحقق يدخل في مجال وقائع اللسانية الخارجية ، وبعد هذا التحقيق يدخل في مجال وقائع اللغات الداخلية ، وثبوت التركيب بكل عناصره وو-اته يكون ثابتا في صور اختزانه في الذاكرة الجماعية ، ويصير ثابتا بعد تسجيله خطيا .
ولذلك كما أشرنا في تناولنا لطبيعة البنيوية للخطابين : الشفوي والكتابي إلى صيغة الطابع الجوهري الذي ينم عن النصوص الشفوية إلى طريقة آنية .
الحكم تمام البنية السانتكسية ونية القول ، وعلاوة على الاختلافات البنية الأولية المشار إليها بين الخطابين الشفوي والكتابي بشكل خاص لا في نية القول أو الخطاب ، ولكن في وسيلة وطريقة تبليغ نية الخطاب .
إن المتكلم شفويا قبل أن يستعمل المسند إليه - مثلا- يكون قد فكر في نوع المسند الذي يناسبه أو يجانسه بنيويا ومقاما ، وأحيانا حتى فيما تم القواعد التقليدية ب "الفضلة" ، سواء أكان لهذه الأخيرة نفس الوظيفة التركيبية (FONCTION SYNTAXIQUE) للعناصر السابقة مثل الفضلات المعطوفة (EXPANSION COORDONNEE) ليس لها نفس الوظيفة التركيبية للعنصر السابق مثل النعوت والمفاعيل والحال واليدل...

إن هشام بن عبد المالك حين تسائل في دهاء ومكر عن أحد آل البيت (زين العابدين) ، أجابه الفرزدق الذي كان حاضرا .

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَأْتُهُ

وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلَّ وَالْحَرَمُ

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ

هَذَا التَّقِيُّ ، النَقِيُّ الطَاهِرُ الْعَلَمُ

هذا ابن فاطمة ، إن كنت جاهله

بجده أنبياء الله قد خُتِمُوا

مَا قَالَ: لَا، قَطُّ ، إِلَّا فِي تَشْهَدِهِ

لَوْلَا التَّشَهُّدُ، كَانَتْ لَأُوهُ نَعْمُ

لم يكن غريبا على المتكلم هنا طبيعة المسند ، وما كان يعينه

الإضافات واللواحق المتصلة بالفضلات والأوصاف.

إن المتكلم أغرق البيت أو كاد يغرقه بمجموعة من الفضلات الدالة على العطف، وهي دوال تركيبية أو سانتكسية لها نفس الوظيفة السانتكسية للعنصر السابق (البطحاء) ، والمسند (تعرف) في الشطر الأول من نفس البيت هو بمثابة النوات (NOYAU) التي يتشكل حول الشطر الأول من نفس البيت، ولذا فإن هذا الفعل (تعرف) بشكل الخطاب الأدنى لهذا التركيب وبدون هذا الفعل لا يمكن التلطف بهذا التركيب على نحو سليم، ويمكن إدراج هذا التركيب المشار إليه حسب علة أو صندوق هاريس على الشكل التالي:

الجملة أو الشطر كله (1)	
تركيب فعلي (3)	تركيب أسمي (2)
اسم (4)، نعت أو بدل (5)	فعل (6)، اسم (7)، اسم (8)

(ش: 3)

التي يمكن توزيع وحداته وفقا لعلبة هو كيت على الشكل التالي:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته (1)	هذا الذي
تعرف البطحاء وطأته (3)	تعرف
تعرف (6) البطحاء (7) وطأته (8)	تعرف

(ش:4)

وقد استحال التلفظ بهذا القول على نحو تركيب آخر سليم ، فإن
الشكل التالي من البيت الأول يمكن التلفظ به في أكثر من وجه أو شكل:

1	وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
2	يعرف البيت والحل والحرم
3	يعرف الحل والبيت والحرم.
4	يعرف الحرم والبيت والحل.
5	الحرم يعرف البيت والحل.
6	الحل يعرف البيت والحرم
	إلخ.....

وإذا أردنا إن نبحث عن أسباب ورود مثل هذه الفضلات المعطوفة
والتي يمكن أداؤها بأكثر من شكل، فإن هذا يرجع إلى رغبة المتكلم في
تقليد بنية الأسلوب المقطوع (Coupé)، وهذا دون الخوض في الأغراض
الإلاخية الأخرى والجمالية.

أما استعمال المتكلم للأسماء أكثر الأفعال، فإن ذلك يرجع بطبيعة
الحال أو كون الاسم متعدد الوظيفة، فالاسم الواحد قد يكون مسندا إليه

(مبتدأ فاعلا، اسم كان وأخواتها، خير أن وأخواتها...) أو مسندا (خيرا...) أو فضلة..... إلخ ، خلافا للفعل الذي لا يملك إلا وظيفة أحادية (FONCTION UNIAIRE).

ولتعدد وظيفة الاسم، نجد المتكلم هنا يتجنب توظيف أي فعل كما هو الشأن في البيت التالي:

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى، النقي، الطاهر العلم.
حتى كأنما المتكلم يريد أن يبحث عن كل الاختيارات الممكنة لصياغتها صياغة تقابلية:

محور التركيب.

هذا	ابن خير عباد الله كلهم
	التقي
	النقي
	الطاهر
	العلم

(ش:5)

إنّ العناصر المكونة لهذه الخطابات المثالية ليست موظفة عشيا أو بطريقة عشوائية ، لأنها وحدات تدل دلالة واضحة على علاقات تباينية أو تعارضية على حد تعبير أو تعريف دي سوسور (12) ، معتبرا العلاقة التركيبية (Relation Syntagmatique) علاقة حضور، وموجودة بقوة الفعل خلافا للعلاقة الترابطية (Relation Paradigmatique) التي تجمع بين عبارات غيابية مضمرة في الذاكرة تقديرا بالقوة (13).

وهكذا ، فإنّ السند إليه (هذا) في مدونتنا أعلاه يمكن اعتباره تركيباً (syntagme)، ويوجد في علاقة تركيبية مع باقي الجملة التي هو محور النمط الأفضل للتركيب (syntagme) لولا أنها تنتمي إلى الكلام لا لغة (14).

تدور البحت عن عناصر الخطاب لمعرفة مدى إمكانية العثور على نفس التركيب ابن خير عباد الله كلهم / في محيط دلالي آخر ، فإننا نمثل ذلك على محور الأفتي أو المحور التركيبي ، كما هو مبين أدناه:

محور التركيب

ابن	هذا
خير	
عباد	
الله	
كلهم	
	هذا
	هذا
	هذا

(ش:6)

مقامات المتكلم أمام إنتاجية الخطاب.

ومفهوم الاختيار الممكن شئ ، ومفهوم الاختيار المطلق شئ آخر. إن التركيب (ابن خير عباد الله) الممثل للمسند والقرائن اللاحقة به لإضافة دلالات معينة لسلسلة الخطاب مرتبط ارتباطا متلازما مع المسند إليه قبله (هذا) ، وهذا ما أشار إليه دي سوسور ((ان عبارة ما في تركيب ما لا تكتسب قيمتها إلا بتقابلها مع ما يسبقها أو ما يليها أو الاثنين معا)) (15)، غير أنه من غير الواضح المطلق أن خاصية الكلام من حرية الإنسان ، أو أن واقعة الكلام خاضعة للحرية الشخصية (16)، والذي هو مقبول حتى الآن أن الكلام خاضع لأوضاع الخطاب ومواقفه حسب المقامات والتواصلات ، فلا يليق مثلا استبدال أحد المسندات السابقة (ابن، التقى،...) بـ (المنافق ، البخيل ، الشرير، الفاسق،...) ، أي أن ما يسمى بالاختيار لا يتم عشوائيا أو كيفما اتفق، وإن الاختيار في أحد المستويين يرافقه اختيار مناسب في المستوى الآخر .

ولعله ليس من التكرار الممل أن نشير مرة أخرى إلى أن الاختلاف الجوهرى بين المتكلم شفويا أو عفويا والكاتب بريشته لا يرجع فقط إلى نية الخطاب بقدر ما يعود إلى وسيلة تبليغ هذا الخطاب ، ذلك أن نية الخطاب قد تكون متعددة لكن وسيلة تبليغها مترددة في البداية وأحادية في النهاية. إن ما يسمى بالأخطاء أو الهفوات اللسانية التي أحصيت هنا وهناك وفي مختلف أجناس التراكيب ، والتي نسبت إلى فطاحل المتكلمين

التقويين أو المتخاطبين العفويين ، هي في حقيقة أمرها تؤيد نظرية دي
سوسور فيما أسماه بحرية الشخصية في الكلام ، لكن المعيارين لم يتاسمحا
مهم وتقدهم نقدا لاذعا ، ووسموهم بشق السمات الدالة على اللحن ،
حتى سيويه لم يتردد في اتهام النحويين الذين استقبحوا بعض التراكيب التي
حلت عفوية على علاقاتها عن العرب فتصرفوا فيها ((وذلك قولك: ويح له
وتب ، وتب لك وويحا ، فجعلوا التب بمنزلة الويح ، وجعلوا ويح بمنزلة التب
فوضعوا كل واحد منهما على غير الموضع الذي وضعته العرب)) (17).

مع أن غير واحد من الباحثين القدماء يقر بوجود مخارج لسانية لهذه
التراكيب العفوية التي سمت بعيوب شتى ، فهذا المرزباني يقول ((و على
كثير مما أنكر في الأشعار قد إحتج له جماعة من النحويين وأهل العلم بلغات
العرب ولولا أنه لا يجوز أن نبي قولا على شئ بعينه ثم نعقب بنقصه
في تصانيفه لذكرنا الاحتجاج للشعراء في هذا الكتاب)) (18).

إن المتكلم إذا أردف (هنا له صفة شاعر) بيتا وترك بيتا آخر
ليقع فيما يسميه العروضيون بـ (السناد)، كقول الشاعر (19)

إذا كنت في كل حاجة مرسلا فأرسل حكيمًا ولا توصه

وان باب أمر عليك التوى فشاور ليبيًا ولا تعصه

فإن المتكلم سواء أشعر بهذا العيب العروضي بعد إنجاز الخطاب أم لم
يشعر فإنه لم يكن بوسعه مراجعة تركيبه الذي تلفظ به لباحث حاضر لأن
جميع الخطابات الشفوية يفترض فيها أن تكون ذات تلفظ والتقاط
حضورين، وإلا كانت جميع هذه الخطابات مشكوكا في تراكيبها لمتكلمين
بأعينهم ، ومن هنا كثر الحديث عن النحل والانتحال في التراث العربي

بحيث ذهب البعض مذهب هواه غير مراعاة التمييز بين النماذج الخطابية أو أصنافها ، فالخطاب العادي غير خطاب مقيد بقواعد إضافية : إذ هل المتكلم يخضع في تلفظه التركيب للعروض أم يخضع هذا الأخير بكل ما فيه من قواعد وقوانين معقدة وشائكة إلى التركيب ؟ ربما كان ابن سلام القارئ الناقد الفذ أول من كاد يفصل في المسألة ، إذ قال : ((والمنطق على المتكلم أوسع منه على الشاعر والشعر يحتاج إلى البناء والعروض والقوافي والمتكلم مطلق يتخير الكلام)) (20).

ومما يلفت الانتباه حقا أن قول ابن سلام يكاد يكون متطابقا مع بعض آراء سوسور التي أشرنا إليها ، ولا بأس أن نعيدها ملخصة حتى لا يعتبر قولنا هذا زيفا ، إذ يقول سوسور : ((فخاصية الكلام هي من حرية الإنسان ، وإذن لا بد من التساؤل ما إذا كانت جميع التركيبات حرة بالتساوي ... ولكن يجب الاعتراف أن لا حدود هناك واضحة في مجال التركيب وذلك بين واقعة اللغة التي هي علامات الاستعمال الجمعي ، وواقعة الكلام الخاضعة للحرية الشخصية)) (21).

وبين هذين الاقترايين لكل من ابن سلام وسوسور إزاء المتكلم أمام وضع معين لإنتاج خطاب غالبا ما يكون غير متوقع ، فإن الإشكالية مع ذلك تظل قائمة ، لأن هناك تباينا في التصور العام لإنتاج خطاب كلما عدنا من عالم الغياب لولوج عالم الحضور ، لأن اللغة في شكلها المادي الصوتي وفي جوهرها الدلالي الاصطلاحي أو حتى في أشكالها السيميوطيقية ماثلة أمام أي متكلم أو مرسل سلفا وليس العكس ، فمن هذا المنطلق نرى ان ثمة اختلافا في الكيفية على الأقل ، إن لم يكن في الطبيعة أيضا بين الحرية

التحسية قبل الكلام، وهذه الحرية المرتبطة بإنتاج الخطاب بعد انتهاء عملية الكلام، حتى كأنها هذه الحرية بالنسبة لأي تركيب وخاصة التركيب الشفوي تنهي فور انتاجه.

ولعل أحد أقوال ساير تقترب من تصورنا السابق إذ يقول: ((إنّ الكلام سيرة تعبير شائع جدا في حياتنا اليومية، ونادرا ما نجد الوقت لتحديده)) (22).

هـ. النماذج التحليلية المختلفة :

وهكذا يمكن الاستمرار في تبني مختلف المناهج اللسانية البنيوية للوقوف على أية مدونة شفوية من خلال تحاليل لجملة وتراكيبها، إن اليت:

هذا ابن فاطمة ، إن كنت جاهلة بجده انبياء الله قد ختموا

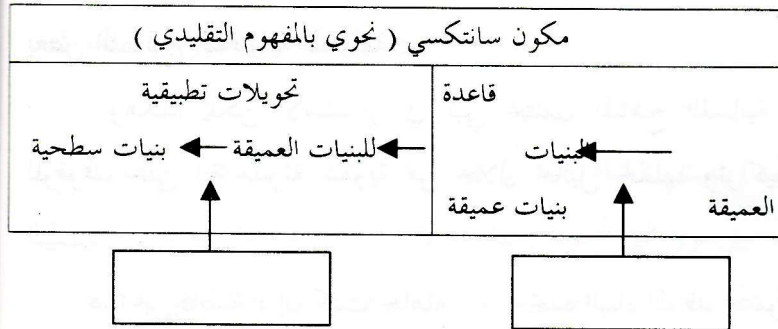
يمكن تحليله وفق مؤلفات مباشرة (Constituant Immédiat).

بعد تحركه إلى شطريه : حيث نكتفي بتحليل الشطر الأول منه إلى أربعة تحليل مختلفة ، على أن نتوسع في بعض هذه التحاليل خاصة وفق المنهج السوي التوزيعي ، مع توالي هذا العمل :

هـ	جاهل	كان	إن	فاطمة	ابن	هذا
10	13	12	6	11	10	4
	جاهل 9	ت 8	كن 7	ابن فاطمة 5		
إن كنت جاهله 3				هذا ابن فاطمة 2		
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله 1						

(ش:7)

ويمكن إن يحلل التركيب نفسه وفق منهج بنيوي آخر ، وليكن المنهج المستوحى من القواعد التوليدية ، والتي نريد إن نشير إليها نظريا ، على إن نعود على مثل هذه التطبيقات ، خاصة مثل تلك المتعلقة بالبنيات السطحية والعميقة قبل نهاية هذا البحث :



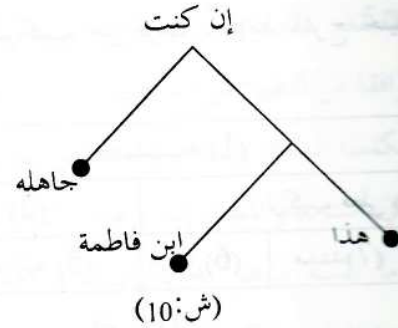
(ش:8)

أو تحليل نفس التركيب حسب علبة هوكيت Boite de Hockett

هذا	ابن فاطمة
ان كنت جاهله	
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله	

(ش:9)

أو حسب البيان العلائقي لتينيار :



إن الغرض من هذه التحاليل للنماذج الشفوية يقودنا إلى الوقوف على الوحدات التركيبية للخطاب ، لأن هذه الوحدات هي التي تقفنا على فهم هذا الأخير ، والمقصود بها هنا الوحدات التركيبية الاستبدالية (23).
 وإذا أردنا أن نبحث عن العلاقة السانتكسية التي تربط الشرط وجوابه في هذا التركيب (هذا ابن فاطمة ، إن كنت جاهله) ، فإنها تدل على ما يمكن تسميته بالأسلوب الدوري (Style Cyclique) ، لأن المتكلم يتجاهل هذا ذكر جواب الشرط لتقدم ما يدل عليه ، ثم لأنه يخاطب متلقيا يعرف جيدا هذا التسائل عنه.

أما البيت الأخير ، فيمكن تلقيه بإحدى القراءات أو أحد التحاليل السابقة ، أو غيرها من المناهج اللسانية المعاصرة المعتمدة ، وما يلفت الانتباه في هذا البيت توظيف المتكلم لوحدات دالة يمكن اعتبارها (هامشية) مثل تركيبة :
 لولا الشهد كانت لأؤه نعم.

وحتى نقف على هذا التركيب عن قرب ، فإننا نقترح تحليله وفق علبة هاريس :

الجملة (1)				
تركيب اسمي (2)		تركيب فعلي (3)		
أداة (4)	مسند إليه (5)	فعل (6)	مسند (7)	مسند إليه (8)

(ش: 11)

التركيبات الخطابية على غير مثال :

إنّ هذا التحليل على هذا النحو وقفنا على الوظيفة التي يحتلها كل عنصر من عناصر التركيب ، إلى أنه ينبغي أن نشير إلى أنه لا علبة هاريس ولا صندوق هو كيت قادران على استيعاب مواقع ووظائف هذه العناصر ، لأن هناك تساؤلات سانتكسسية محذوفة وجوبا من التركيب لا يجيبان عليها ومن هنا نرى لزاما البحث عن نظرية بنيوية أشمل مما هو موجود حتى الآن كلما حاولنا أن نطبق على العربية التي طاقها كثيرا ما تفوق هذه المناهج اللسانية المعاصرة مجتمعة ، لأن الذين اهتموا إليها أخذوا بعين الاعتبار اللغات الحديثة مدونة لأعمالهم ، ولذلك وجب علينا ان نكمل ضمنا هذه المناهج اللسانية من القواعد العربية المألوفة كلما حاولنا ان نطبق بعضا من هذه المناهج على النصوص التراثية أو حتى الحديثة في اللغة العربية.

إن اللغة علاوة على كونها تتمثل ((كنظام قواعدي مشترك في فترة زمنية معطاة بالنسبة لكافة المتكلمين لنفس المجموعة اللسانية)) (24) ، فإنها شبكة من العلامات المعقدة وهذا التعقيد قد لا يرجع إلى هذه اللغة أو تلك

والتحليل يظهر أن يعود إلى نسخها من فعل المستعملين المتجانسين لغة
بالتسوية توافقاً من التعريف عن أغراضهم ولو في نفس الخطابات .

«حكمنا السابق» (الشاعر) المتجانس لغة مع من يتكلمون هذه اللغة
في هذه الحالة (هذا) تبايناً على غير مثال ، وإلا كان
هو قد يكون توافق معهم في المحور التركيبي أو
اللفظي وهذا غير مؤكد أيضاً ، ولكنه تباين معهم في المحور الاستبدالي
والوطني وتضريح هذا التكم نفسه (25) :

وأبو يزيد وذو القروح وجروول
لا هي حنة أن التكم قال نفس الخطابات وبنفس التراكيب التي قالها
هؤلاء الشعراء الثلاثة الذين ذكرهم .

والسؤال قول هذا التكم أمراً عجباً ، وقد قال قبله متكلمون آخرون مثل
موتى القيس :
عرجاً على الطل المحيل لأنسا

نكي الديار كما بكى ابن خزام
أو تقول زهير :

ما أرقنا قول إلا معاراً
أو معاداً من قولنا مكروراً

أو تقول عترة :
هل غادر الشعراء من متردم

أم هل عرفت الدار بعد توهم؟ (26)

وتصريحات هؤلاء الثلاثة الآخرين لا يفيد أنهم عبروا عن نفس السياقات أو المواضيع بنفس التراكيب والأساليب ، وهذا موضوع آخر يدخل في الدراسات الأسلوبية والفنية والجمالية ، وتقنيات أخرى لا نريد أن نتورط في الحديث عنها هنا ، لأن مثل هذا الحديث يخرجنا حتما عما نهدف إليه في هذه الدراسة التي لا نريدها أن تحيد كثيرا عن القراءات اللسانية بأشكال أو شكل من الأشكال .

وإذا كان المتكلم - شفويا خاصة - عضوا ثانويا بالنسبة لمجتمعه اللغوي المتجانس ، فإنه يعد عضوا أو فردا أساسيا بالنسبة للاستعمالات اللغوية لأن الملكة اللغوية ملكة الجميع وهو قد اكتسبها اكتسابا بصورة لا واعية ولاسيما اللغة الأم، أما القدرة على أداء هذه الملكة وترجمتها إلى خطابات تختلف عن صورة أداء غيره لنفس الخطابات، فهي له، وله وحده فقط .

وإذن ، فليس مهما أن يتجانس متكلمون بأعيانهم في ملكة لغوية معينة لكن الأهم هو تباينهم في قدرة كل فرد منهم على تشغيل جهاز هذه الملكة اللغوية العاقل ، فكم في لغتنا القديمة من تراكيب وكلمات ... وصفت بأنها ميتة أو مهملة أو شاذة ... إلى غير ذلك من الأوصاف الخاطئة والحقيقة أنها لم تشغل بكيفية مستمرة وصورة عادية ، لأسباب تاريخية أو اجتماعية ... ، فوصفت بذلك

تركيبات خصوصية للخطابات الشفوية :

على أي حال ، إن الخطاب الشفوي خطاب مستقل بخصائصه التركيبية لا يعنصره اللسانية عن أي خط خطاب كتابي له أدواته الإجرائية وتجلياته الكتابية .

وعلاوة على ما أشير إليه أعلاه ، فإن الخطاب الشفوي يغلب عليه في الحالات العادية التراكيب الإسنادية (Syntagme Prédicatif) التي تقول الأدي ، أو ما يقوم بالوظائف الأساسية ، وهي العناصر اللسانية التي لا يستغني الخطاب عن كلها أو جزء منها ، لأنها جميعا تندخل في القول كونه وترتبط به ارتباطا كلياً ومباشراً على شكل تيار .

وقدنا فيما سبق أن المتكلم شفويا قبل أن يستعمل المسند إليه - مثلا - يكون قد فكر حدسيا في تصور المسند الذي يناسبه مقاما أو يجانسه شيئا . ولربما ذهب إلى أبعد من ذلك فيتصور الفضلات المختلفة التي تلحق أو تتوسط التركيب المشتمل الوظائف الأساسية أو الجمل النواتية .

إن متكلمنا السابق قد اعتمد في تركيب نصه على أقسام كلامية عقلية وخالدة في الآن ذاته ، لأن الوحدات التي وظفها وظفت قبله ووظفت بعده ولا تزال توظف إلى عهدنا هذا ، خاصة وأنها وحدات ترتبط حاليها بالبيت الشريف ارتباطا ولائيا حازما :

وليس قولك : (من هذا) بضائره

العرب تعرف من أنكرت والعجم

مشقة من رسول الله نبعته

طابت مغارسه ، والحيم ، والشيم

من معشر حبه دين ، وبغضهم

كفر ، وقربهم منحي ومعتصم

وأما وحدات ترتبط مداليلها ورموزها ارتباطا ثقافيا قائما على أنساق

اجتماعية عشائرية غير قابلة للجدل بل حتى للتناقى :

إذا رآته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

إن المتكلم عادة ما يعزف عن استعمال الأفعال كلما رأى أن تركيبا

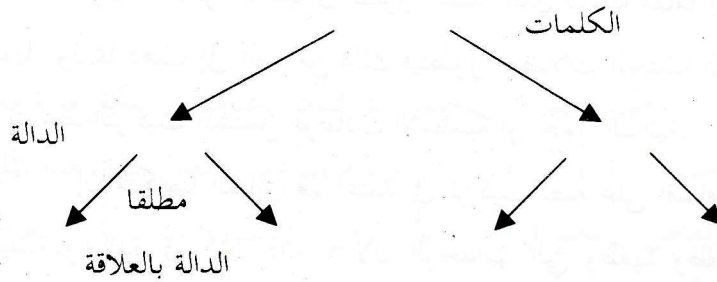
من تراكيبه مستغنى عنه ، أو لأن الفعل أو التركيب الفعلي يشترك في الدلالة

المطلقة مع فئات الأسماء ، بل ربما كانت الكلمات الدالة على الإسمية أكثر

دلالة من فئات الأفعال.

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم

في كل بدء ، ومختوم به الكلم.



الأسماء الأفعال أدوات التعريف أدوات الوصل

(ش:12)

وفي هذا يقول هاريس ، فيما هو معناه : ((كلمات تحتفظ بمدلولها

وأخرى تفقده تماما ، القسم الأول يتكون من الكلمات الدالة مطلقا ،

والقسم الثاني يتكون من الكلمات الدالة بالعلاقة (بالإضافة أو الإسناد) ...
كما أن أدوات الظرف ووصلات وأدوات التعجب فهي إما
من هذه الأقسام وإما فئات لذا ((27)).

وعني عن البيان أن هذه المقولة الهاريسية ليست مقولة عامة ، وإنما
لا تخص على اللغات التي نخجل خصائصها التركيبية ولكنها ليست مقبولة
باللغة العربية مثلا فيما يخص القسم الثاني الخاص بالحروف ، كأدوات
الوصل والتعريف ، فضلا عن كونه لم يخل مشكل وحدات لسانية أخرى
هي في غاية الأهمية بالنسبة للتركيب في أية لغة مهيأة للتواصل الإنساني
بموجبات كتب معاني الحروف وما جانسها من رسائل لغوية خاصة بهذا
المجال إلى تراكيب شغوية لا حصر لها ، تجعلنا نستبعد هذه المقولة
الهاريسية.

ومثل هذه التراكيب الاسمية التي قد تشيع لدى هذا المتكلم أو ذاك
تعود إما إلى فقر اللغة في الأفعال الدالة مطلقا بنفس المستوى الخطابي الذي
تتكون أو توديه كلمات إسمية بدلها ، وإما إلى كثرة الاشتقاقات التي تشتق
من أصل واحد دون أن ننسى لتركز على الأهمية البالغة في هذا الشأن
بالنسبة للعادات السانتكسية وعلاقات عناصرها الوظيفية فيما بينها وبين
نفسها في الآن ذاته.

ثم لا ننسى أن نذكر مرة أخرى مثلما أشرنا في مواضع أخرى بأن
كل لغة وطاقاتها وهذه الطاقة داخلية مرتبطة باللغة ذاتها ولذاها وخارجية
محصنة بالتكلم الذي ينهل من هذه الطاقة في حدود قواعد معيارية أو
وصفية ، فالشاعر حين يقول :

سهل الخليفة لا تخشى بواده

يزينه اثنان : حسن الخلق والشيم

لم يحفل بذكر المسند إليه للعلم به ، وهو أسلوب بلاغي معروف ، واجتزاء بذكر المسند وما تبعه من فضلات ، كما أنه أناب الفضلة عن المسند إليه في التركيب الفعلي الموالي للتركيب الاسمي (لا تخشى بواده) ، أي مثلما حذف المسند إليه وهو في صدر الكلام ، فالأولى أن يحذفه وهو في وسطه وتحليل التركيب السابق بنوعيه الاسمي والفعلي يعطينا الصورة الآتية :

سـهـ	لـ	1	6	حلق	لا	حشي 18	بدر	هـ
				17	6		19	14
سـهـ	لـ			الـ 9	حليقة 10	تـ	حشي	بادرة
						11	12	15
							بواذر	13
						تخشي 7	بواده	8
سهل الخليفة 2				لا تخشى بواده 3				
سهل الخليفة لا تخشى بواده (1)								

(ش: 13)

وفي الخطابات الشفوية ينبغي ألا نعطي أهمية أكثر مما تستحق بنيتها على المستوى الدلالي ، لأن مثل هذا الاهتمام يورطنا في مجالات دلائلية لا غاية لها ، ولذا فإننا هنا نعطي أهمية أكثر إلى البنية السانتكسية التي هي من ناحية متشعبة في اللغات الإنسانية ، وهذا ما لاحظته المنطقة منذ عهد بعيد يؤكد وحدة مدرسة بور رويال ، لأن النحو البورويالي يرى أن الفكر البشري يتميز بوظائف ثلاث :

1- التصور ، أي عرض الموضوع (المحدث عنه) أو ما يسمى بالفاعل الحوي سواء كان فاعلا لفعل أم اسما مسندا إليه ...

2- الحكم ، وهو التعبير عن المحمول (أو المحدث به) .

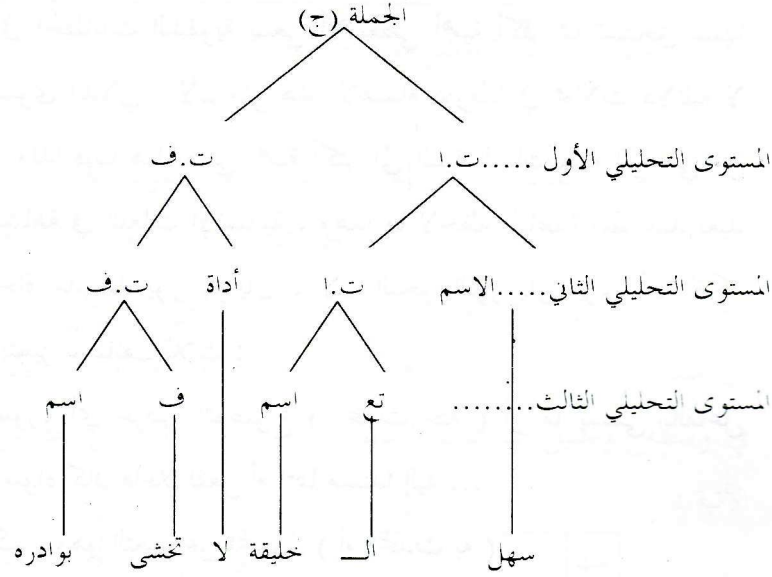
3- المحاكمة ، ويقصد به الربط بين حكمين لاستنتاج حكم ثالث (28).

ومن ناحية أخرى ، فإن تحليل أي خطاب ، بما في ذلك الخطاب الكتابي إلى مؤلفاته المباشرة يبين لنا أن كل عقدة (تحمل في طياتها سمة (THU) تعتبر رمزا لفئة سانتكسية (تعريف ، فعل ، اسم ، ...) .

هذا يمكن أن تمثل من خلال مخطط مشجرا اعتباريا ، أي دون أي بعد توزيع دلالي ، ماعدا ما يمثل من أصناف توزيعية والتي تؤلف هذا المخطط لكل الجمل التي تملك هذه البنية السانتكسية (29).

مستويات التحليل للوحدات الدالة في الخطاب :

إن التركيب السابق (سهل الخليفة لا تخشى بواده) يمكن تحليله وفق المستويات السانتكسية التالية :



(ش: 14)

وكل جملة على هذا النحو يمكن أن تحلل وفق هذه المستويات الثلاثة :

- كتاب الطالب لا تمزق أوراقه.

- دار العدالة لا تنتهك حرمانها .

ويمكن أن يستقل الرسم البياني الأخير الذي خصص لنائب الفاعل

(بواده) على أن تحلل الجملة في هذه الحالة إلى أربعة مستويات ويؤخذ

الضمير المتصل بعين الاعتبار .

وكان ممن تعرضوا للعبارة اللسانية العالم اللساني الفرنسي بنفيسنت

الذي يرى أن ((العبارة وحدة لسانية متميزة بخصائص فريدة ، فهي

تستوعب الإشارات ، و إن لم تكن إشارة بحد ذاتها ، ولا يصح تعريفها إلا

بوصفها محمولا ، ولذلك تختلف اختلافا بينا عن سائر الوحدات اللسانية .

فهي ترقى إلى الحد الأقصى في تحليل المستويات من الوحدات الصوتية (Phonèmes) إلى الوحدات الدالة (Monèmes) **العبارة** . وإذا أمكن إحصاء الوحدات الصوتية والوحدات الدالة فإن العبارة لا حصر لها ، كذلك يمكن دراسة الوحدات الصوتية والوحدات الدالة ، من حيث توزيعها ، أما العبارات فلا توزيع لها ((30)).
وانطلاقا من التحليل المنطقي الذي ينص على أن جميع الألسن تردنا إلى بنية مسترة مكونة من :

موضوع + محمول

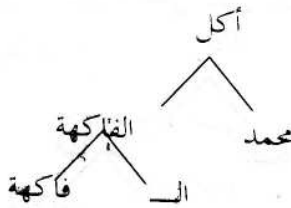
(ش:15)

خلافًا لأندري مارتيني الذي يؤكد على أوجه الخلاف بين اللغات (31) فإن العبارة (Enonce) هي كل تركيب تتصل عناصره بتركيب محمولي وحيد وما يتصل به من إضافات.
أما التركيب عند اللساني الفرنسي تسنيير (Tesniere) فإنه يميز فيه بين ما يسميه الحدث (أو الفعل) وبين الفاعل الحقيقي الذي يسميه (Actant) والتركيب الظرفي (Circonstant) ويعرف تحليله بمخطط الشبكة ، فالتركيب البسيط : (أكل محمد) يكون التنظيم فيه خطيا مستقيما ويطابق السلسلة الكلامية الخطية ويكون متميزا ببعد واحد هو البعد الخطي أي مادة الكلام أو تعاقب الأصوات التي تؤلفه: (32)



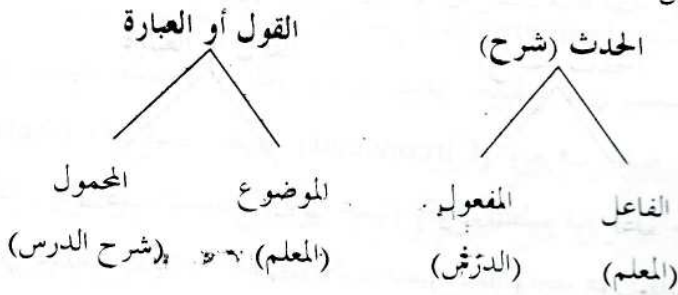
(ش:16)

أما الجملة (أكل محمد الفاكهة) فإن التنظيم يكون فيها متشعبا لأنه يتميز ببُعدين يظهران في الشبكة .



(ش:17)

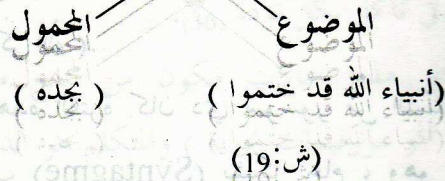
وتتميز هذا اللساني بين العبارة أو القول من جهة، والحدث أو الفعل أو العمل من جهة ثانية يكمن في الرسمين التاليين: (33)



(ش:18)

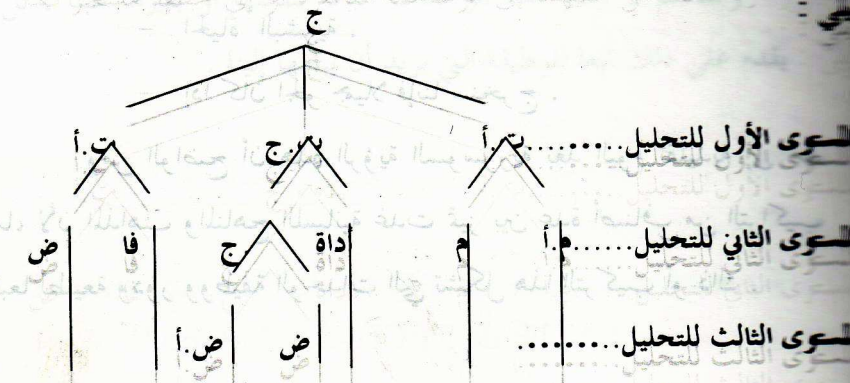
وهكذا نجد أن اللسانيين المعاصرين لا يبرحون يلهجون بالأفكار المنطقية وتأثيرات بعض المدارس اللسانية القديمة ، غير أننا مع أندري مارتيني في أن كل لغة لها خصوصياتها ، وكما أشرنا فيما سبق ، لأن التقدم والتأخير وحدهما كافيان لتأكيد هذه الخصوصيات الداخلية ، فإننا لو أردنا

الترسيم مثلا أحد التراكيب السابقة ، وليكن (يجده أنبياء الله قد ختموا)
في ضوء ما يسمى بالموضوع والحمول لصار الموضوع محمولا ، والحمول
محمولا :



وبالتالي يصير المحدث عنه محدثا به ، والمحدث به محدثا عنه .
لكن الرسم السابق لا يجوز في هذا التركيب من ناحية الأهمية
أو الأولوية التي أرادها المتكلم استحقاقا لهذا التقديم وإنصافا لهذا التأخير
بجده التركيب وردت على نحو مخالف لهذه البنية ، لكن التقديم والتأخير
يحيى أن يظلا على حالهما :

- مشتقة من رسول الله نبعته .
 - مقدم بعد ذكر الله ذكرهم .
- فهذان التركيبان لهما - أي لوحدهما - نفس التوزيع ، ويظهر هذا
حالا لو أردنا أن نحلل كليهما إلى مؤلفاتهما المباشرة أو إلى مخطط مشجركما
يحيى :



هو(محدوف) مشتقة من رسول الله نبعته هـ

(ش:20)

وتحليل التركيب (مقدم بعد ذكر الله ذكرهم) يخضع إلى نفس المستويات ، مع استبدال رمز (التركيب الجري) بـ(التركيب الظرفي) في المقطع (بعد ذكر الله) .

وقبل هذه الفترة كان دي سوسور من اللسانيين الحدائين الذين حددوا التركيب (Syntagme) بشكل عام ، وهو الخطاب الذي تقيم وحداته ضمن تعاقدها فيما بينها علاقات مبنية على صفة اللغة الخطية ، لأنه يستحيل نطق عنصرين في الآن ذاته، وهذان العنصران يقع الواحد منهما إلى جانب الآخر في إطار السلسلة الكلامية (Unités Consécutives) ، ثم يردف قائلا : ويمكن تسمية هذه التوافقات (Combinaisons) التي يكون المدى دعامة لها تراكيب (Syntagme) (34).

وإذن، فمن وجهة نظر سوسور ، يتألف التركيب دائما من وحدتين متعاقبتين أو أكثر مثل : (35)

- أعاد القراءة .
- ضد الكل .
- الحياة البشرية .
- إذا كان الجو جميلا فإننا سنخرج .

ومن الواضح أن هذه الرؤية السوسورية تعد اليوم تقليدية إلى حد ما، لأن المذاهب والمناهج اللسانية غدت تميز بين عدة أصناف من التراكيب تبعا لطبيعة ودور ووظيفة الوحدات التي تشكل هذا التركيب أو ذاك .

الك التعلیمیة المعاصرة غدت تنظر إلى التركيب على أنه
مجموعة كلمات تكون زمرة داخل الجملة :

- الأولاد الصغار يحبون الحلوى .

- حدي تأكل بكل تؤدة (36).

التركيب في مثل هذه الحالات مكون من تتابع من المورفيمات
مورفيمات معجمية / أو مورفيمات نحوية (والمتكلم هو الذي يختار بنفسه
الوحدات التي يركبها ، ففي جملة (الأولاد الصغار) يختار المتكلم علامة
الجمع مثل علامة المفرد ؛ لأن كلمة (الأولاد) نجد فيها مدلولين: أحدهما
الضمون المعنوي للمفرد (الولد) وثانيهما يرمز إلى معنى الجمع
- وليس أي جمع ، لأن هناك جمعا آخر مثلا مقابلا لهذا الجمع (جمع
الكسر) هو جمع المذكر السالم ، وهنا يصعب التمييز الخطي بين مدلول
المفرد ومدلول الجمع خلافا لوضوحه في جمعي المذكرين والمؤنث السالم ،
ولقد قد هذين المدلولين يمثلهما دال واحد هو الدال المتميز / الأولاد .
كذلك اختار المتكلم نفسه والمفترض هنا ، أداة التعريف بدلا من النكرة ،
وقد الشيء يقال في النعت (الصغار) بدلا من (الكبار).

والتكلم لا يختار هذه الوحدات الدالة بنفسها أو بغيرها عبثا ، بل
يقدم على ذلك تبعا للوظيفة التي يريد أن يبلغها إلينا .

بيبلوغرافيا البحث

• البيبلوغرافيا بالعربية

- 1- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) د. شوقي ضيف، ط: 3، دار المعارف، مصر.
- 2- الشعر والشعراء : ابن قتيبة مطبعة بريل 1902 ليدن.
- 3- شعرية تودوروف . ط 1/1987 . دار توبقال للنشر ترجمة : شكري المبخوت، رجاء بن سلامة.
- 4- طبقات فحول الشعراء. محمد بن سلام. تحقيق: محمود شاكر مطبعة المدني القاهرة.
- 5- الكتاب : سيبويه . تحقيق عبد السلام هارون . ط: 1966 دار القلم مصر .
- 6- اللسانيات العامة الميسرة، سليم بابا عمر، باني عميري، ط: 1990، مط. أنوار الجزائر.
- 7- محاضرات في الألسنية العامة . ف. دي سوسور . ترجمة يوسف غازي مجيد النصر . ط: 1984. دار نعمان للثقافة - لبنان.
- 8- مدخل إلى اللسانيات . رونالد إنيلوار . ترجمة د. بدر الدين القاسم ط: 1980. مطبعة جامعة دمشق.
- 9- مدخل في اللسانيات. صالح الكشو . ط: 1985. الدار العربية للكتاب تونس.

• البيبلوغرافيا باللغة الأجنبية :

- 1- Cours de linguistique générale F. de Saussure
UNITE de REGHAÏA. ALGERIE .

Dictionnaire de ditactique des langues. -
R.GALISSON. D.COSTE HACHETTE.1976.

Initiation à la linguistique. CHRISTIAN - 3

BAYLON , POUL FABRE. Edition

NATHAN.1975.

4- Initiation à La Problématique Structurale.

T/2.J.L.CHISS.J.FILLIOLET,D.MAINGUEREAU

HACHETTE 1978 - 1979

5- Le Langage . EDWARD SAPIR . Edition

PAYOT , PARIS.

6- La Linguistique (Guide Alphabétique). André

MARTINET . Edition De NOEL.

الإحالات

Initiation à La Linguistique. P.49 1

2 سورة لآلآء آية : 30

Initiation à La Linguistique. P.106 3

4 مرجع السابق ص : 106

La Linguistique (Guide Alphabétique) P.14 5

6 تاريخ أدب عربي 408/01 د. شوقي ضيف

7 الدراسات العامة المبصرة ص: 29.

8 مرجع نفسه ص: 29

9 الشعرية ص: 30

10 الدراسات العامة المبصرة ص: 29-31 و غيره من المراجع

11 راجع الشعرية ص: 31

Cours de Linguistique Générale P.206 (12)

و قارن بالترجمة العربية ، ص: 157 (انظر الكتاب في قائمة المراجع)

(13) راجع محاضرات في الألسنية العامة ص: 150

(14) السابق ص: 199

(15) محاضرات في الألسنية العامة ص: 149

(16) نفسه ص: 151

(17) الكتاب 334/1

(18) الموشح ص: 2

(19) السابق ص: 7

(20) طبقات فحول الشعراء ق 56/1

(21) محاضرات في الألسنية العامة ص: 151 و قارن بالنسخة الفرنسية ص: 199

Le Langage P.7 (22)

(23) راجع اللسانيات الميسرة ص: 39

Initiation a la Linguistique P.149 (24)

(25) الشعر و الشعراء ص: 47

و أبو يزيد هو المخبل السعدي ، و ذو القروح هو امرؤ القيس و جرول يعني به
الخطيئة .

(26) هذه الإشكالية مشهورة في كتب النقد العربي و تاريخ أدبه، و تحليل القارئ
على كتاب: الأدب العربي و تاريخه في العصر الجاهلي، ص: 92 للدكتور ج. هوارث

(27) مدخل في اللسانيات ص: 82 الاستاذ صالح الكيشو

(28) مدخل إلى اللسانيات ص: 120 - 121 رونالد ايلوار ترجمة د. بدر الدين

القاسم .

Initiation à la Problématique structurale T/2.P14 (29)

(30) مدخل إلى اللسانيات ص: 131-132

122-ع

124-ع

125-ع

Cours de Linguistique Générale P.197

197-ع

Dictionnaire de didactique de langues. P.545-

545-ع